كان جَوًّا يوحى بشكل شديد أنها رسالة من الله.
قدّر الله دخوله الغرفة في تلك اللحظة لِيُسْمِعَهُ تلك الآيات وكأنها نزلت من
أجله..

وكان الله أنزلها حين نزلت منذ أكثر من ألف وأربعمائة وخمسة وأربعين
عاما لِيُحَدِّثَهُ هو بها!!

دخل الغُرفةَ وإذ بها خاويةٌ ليس فيها أحد.
خَوَتْ من النور تماما، إلا من نورِ الشاشة، تعرّضُ قناةَ ما، تبتُّ آياتٍ من
كلام الله.

كان يعرف هذا الصوتَ جدًّا..

كان يتلو بصوت هادئ.. ثم فجأة، علّت نبرته!

كانت تلاوته هادئةً منذ ثوانٍ معدودة، ثم إذ به الآن يكاد يصرخ!!

يكاد يصرُخُ وكأنه يفعلُ ذلك لأجله!!

لِيَهْزُ كِيانَ هذا الشخصِ الذي تبلّدت مشاعره، وقسى قلبه، فما عاد يرقُّ لِمَا
لو أنزله الله على جبل لَرَأَه خاشعًا مُتَصَدِّعًا من خشيته سبحانه وتعالى.

على غير المعتاد مؤخرا، لمست تلك الآية قلبه!

كان يحتاجها في تلك اللحظة جدًّا..

جدًّا!

ثم ها ذا القارئُ يتلو تلك الآية لِيُعِيدَهُ إلى رُشدِهِ، وصراطٍ حادٍ عنها كان قد
أخذَ فيها خُطُواتٍ.

أو.. الأصح: إن الله من أعاده لِرُشدِهِ، وللصراطِ التي ارتضاها لعباده
أجمعين.

يكاد يصرُخُ القارئُ بالآيةِ الحاديةِ عشرةً من سورة السجدة، في جو يوحى
بشدة أنها رسالة من الله إليه!

ينتو: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾..

بنبرة تقترب من الصراخ..

وكانه يفعل ذلك لأجله..
وكانها نزلت يوم نزلت مُوجَّهَةً إليه!

* * *

كم مرّ مُذْ آخِرِ مَرَّةٍ أَحَسَّ فِيهَا هَذَا الْإِحْسَاسَ؟
لا يذكر!

لكنه كان في شوق شديد لذلك الشعور، وما كان يدري!!
هو ذلكم الشعور بأن الله يُحَدِّثُكَ..

يُحَدِّثُكَ أَنْتَ!

الآية بالطبع لم تُنَزَّلْ لأجله؛ لكنه يقين يكون في القلب أَنَّ الْآيَةَ تُحَدِّثُكَ..
تُحَدِّثُكَ أَنْتَ!

شعور لا مفرّ منه.

الله يُدَكِّرُكَ بِيَوْمٍ مَا قَادِمٍ لَا مُحَالَةَ..

يَوْمٍ يَتَوَفَّاكَ مَلَكُ الْمَوْتِ..

لا مفرّ منه أيضا!!

* * *

﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾، يكاد يصرخ
بها!

كيف نأى عن ذلك اليقين الذي لا يُسْتَطَاعُ نَفْيُهُ وَلَا الشَّكُّ فِيهِ؟!

كيف نسى تلك الذكرى التي وَجَبَ أَنْ تَكُونَ مُلَازِمَةً لِكُلِّ مِنَّا فِي كُلِّ حِينٍ
من عمره؟!

يا الله، كم ألته الدنيا!!

كم أنسته ما لا يجوز نسيانه!!

كم أخذته من عُنُقِهِ عُنُودَ وَمَرَّعَاتٍ وَجَهَهُ فِي تَرَابِهَا تَمْرِيغًا!!

يا لتعس من لم يدق ما ذاقه الآن!

يا لهناءة من عرف!

هل انتهى الأمر هنا؟

كلا.

بالطبع كلا!

صِراعُ المرءِ مِنَّا مع الشيطان طوييلٌ.. طويلاً بِقَدْرِ عُمُرِ كُلِّ واحدٍ.

صِراعٌ لا نَغْلِبُ فيه نحنُ إلا بعونِ الله ومدده..

فاللهم لجمعنا ذا المددِ.

آمين.